www.withprophet.com

الفصل الثاني
الحبيب ﷺ في الحياة الاقتصادية

الحبيب ﷺ تاجرًا

نشأ الرسول ﷺ في مكة (المدينة التجارية الكبرى في جزيرة العرب)، وفي هذه البيئة ظهر رسول الله ﷺ، وقد خرج ﷺ مع قوافل قريش عندما كان عمره يتراوح بين التاسعة والثانية عشرة، فَصِلَتُه ﷺ بالتجارة بدأت معه بداية مبكرة تأثرًا بالبيئة التي يعيش فيها، ولكن ما ميَّزه ﷺ عن غيره من التجار عدة أمور:

سُمعةٌ تجاريةٌ طيبةٌ

فالأمانة سبيل نجاح التاجر وأهم رأس مال يستثمره في التجارة، فإذا اجتمع مع الأمانة الصِّدقُ، توافرت الأرضية التجارية السليمة، وهو ما اجتمع للرسول ﷺ، فقد عُرِف ﷺ قبل الرسالة بالصادق الأمين، فسُمْعَتُه التجارية الطيبة ولَقَبُه الأمين جَعَلا السيدة خديجة تختاره للتجارة أوَّلًا، ثم تتزوجه ﷺ.

للسمعة التجارية الطيبة أثر واضح على المجتمع التجاري، وضح ذلك في ضوء سيرة النبي ﷺ.

جلال أوصاف محمد ﷺ وتلقيبه بالأمين

عن النبي ﷺ في أحد مؤلفاته فقال: «... وكان الناس يُجِلُّون أوصافَهُ ويحمدون سيرتَهُ، ويُلَقِّبُونه بالأمينِ، أي الصادق الذي يُعْتَمد عليه».

هنري لامنس
يسوعي بلجيكي ومستشرق.

ذكاءٌ ومهارةٌ في التجارة

كان ﷺ ذا ذكاء شديد ومهارة في التجارة، وليس أدل على ذلك مما عمله ﷺ في مال خديجة، فروي أنه (لما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به، فأضعف أو قريبًا) [دلائل النبوة للبيهقي]. أي إنه ﷺ عاد من رحلته في تجارة خديجة بربح مُضَاعَف، ولا شك أن الأسواق التي كان يغشاها رسول الله ﷺ – مثل سوق عكاظ – كانت تمتلئ بالتجار ذوي التجارب ممن يكبرونه سنًّا وخبرة.

www.withprophet.com

إضافة إلى ذلك فقد كان النبي ﷺ يتمتع بالفطنة في المعاملات التجارية وفهم التجار.

وقصته ﷺ مع التاجر الذي يَغُشُّ مشهورة، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ «مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا»، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟!»، قَالَ: «أَصَابَتْهُ المطر يَا رَسُولَ اللهِ»، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي» (رواه مسلم).

فمن النظرة الأولى للطعام بدا فائق الجودة والنضارة، لكن بعد الفحص الدقيق فطن النبي ﷺ إلى ما كان خافيًا، فقد أدخل النبيُّ ﷺ يدَهُ الشريفة إلى تلك الكومة فإذا بها مبتلّةٌ على نحوٍ يوحي بقُرْب فسادها، فلم يكتفِ بالنظر لظاهر السلعة المعروضة، بل قام بالفحص والتدقيق للتأكد من جودتها ظاهرًا وباطنًا.

الإقرار بأن محمدًا ﷺ كان على ذكاء عظيم

«... وإن سيرة النبي العربي من بدايتها إلى نهايتا تدل على أنه ثَبْتٌ رَصِينٌ أمين، لا مناصَ من الإقرار بأن محمدًا كان على ذكاء عظيم».

كازانوفا

مستشرق فرنسي.

- في العصر الحديث أسلم الملايين في العالم وخاصة في شرق آسيا بسبب امتثال بعض التجار المسلمين لأمر وهدي رسول الله ﷺ، وضح ذلك، واذكر أمثلة من بعض الدول.
- كان رسول الله ﷺ تاجرًا وهو مرسل من عند الله، فهل هو في حاجة للتجارة وهو رسول الله ﷺ؟! وما دلالة ذلك؟

سماحته ﷺ في البيع والشراء

كان من أخلاق النبي ﷺ السماحة في البيع والشراء، يروي لنا عن ذلك ابن عمر رضي الله عنهما فيقول: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَكُنْتُ عَلَى ناقة صغيرة كثيرة النفور لِعُمَرَ، فَكَانَ يَغْلِبُنِي فَيَتَقَدَّمُ أَمَامَ الْقَوْمِ، فَيَزْجُرُهُ عُمَرُ وَيَرُدُّهُ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ فَيَزْجُرُهُ عُمَرُ وَيَرُدُّهُ» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعُمَرَ: «بِعْنِيهِ» قَالَ: هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «بِعْنِيهِ» فَبَاعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هُوَ لَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ تَصْنَعُ بِهِ مَا شِئْتَ!» (رواه البخاري)، فأخذها من الأب وأهدها الابنَ ليفعل بها ما يشاء؛ سماحة منه ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى». (رواه البخاري).

- حثَّ النبي ﷺ على السماحة في البيع والشراء، فما آثار تطبيق ذلك اجتماعيًّا؟

www.withprophet.com

www.withprophet.com

قال رسول الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ إِنَّ الْبَيْعَ يَحْضُرُهُ اللَّغْوُ وَالْحَلِفُ؛ فَشُوبُوهُ بِالصَّدَقَةِ».
(رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه).

وصيته ﷺ بالبِرِّ والصِّدْقِ والصَّدقَةِ

أوصى النبي ﷺ التجار في بيعهم بالبر والصدق والصدقة، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا». (متفق عليه).

وذات يوم «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمُصَلَّى، فَرَأَى النَّاسَ يَتَبَايَعُونَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ، فَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ إِلَيْهِ فَقَالَ: (إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا، إِلاَّ مَنِ اتَّقَى اللَّهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ)». (رواه الترمذي وابن ماجه والطبراني).

- أمرَ النبي ﷺ التجار بالبر والصدق والصدقة، فما دلالة ذلك؟
- ما الآثار الاجتماعية لامتثالِ التجارِ أمْرَ النبيِّ ﷺ بالبر والصِّدق والأمانة؟

كيف تقتدي به ﷺ

1. كُنْ تاجرًا أمينًا وصادقًا في بَيْعك وشرائك كما كان يفعل النبي ﷺ.
2. كُنْ سَمْحًا في بَيْعكَ وشرائكَ مقتديًا في ذلك بالنبي ﷺ.
3. لا تغش ولا تخادع مهما كان ذلك جالبًا للمكسب والربح فيما يبدو.
4. إيَّاكَ والحلفَ الكاذبَ في بَيْعك؛ فإنه يُذْهِبُ ببركة بَيْعِك.
5. إيَّاكَ واحتكارَ السِّلع ورفْعَ ثمنها مُسْتَغِلًّا حاجاتِ الناس؛ بل ارفق بهم وتجاوز عنهم.
6. أَكثِرْ من الصدقة وساعدِ الفقراءَ والمحتاجين فهذا ينمي مالك ويبارك لك فيه.
7. كن مثالًا للتاجر المسلم الأمين الصادق السمح الرفيق المنفق، تكن تجارتك دعوة لله، وتكن ممن اقتدى بخير البشر ﷺ.

www.withprophet.com